

## مساحة مناورة تخفف حدة تطويق مصر بالأزمات الإقليمية

القاهرة انتبعت للمعركة مع أنقرة ونسجت شبكات أمان متعددة لحمايتها من الاستهداف

في ظل حالة التوتر الأمني والسياسي، الذي يطبع الشرق الأوسط، استطاعت القيادة المصرية أن ترسم لنفسها خطاً واضحاً في تعاملها مع السيناريوهات الاستفزازية لبعض دول المنطقة، والتي تعمل على المس من هيبة القاهرة وخاصة في ما يتعلق بأمنها القومي. ولعل أبرز ما يميز الاستراتيجية المصرية هو نسج شبكات أمان مختلفة لحمايتها من أي استهداف وذلك من خلال تقوية الجبهة العسكرية مع اعتماد الدبلوماسية الهادئة لحل الأزمات.

محمد أبو الفضل  
كاتب مصري



تركيا، تريد محاصرة مصر وعدم السماح بامتلاكها أدوات قوة أكثر من اللازم، تمكنها من التأثير في مجريات الأحداث.

وترى مصادر مصرية، أن هناك فريضة ثانية في الخارج لا يريد إضعاف الدولة تماماً أو امتلاكها قوة طاغية، فالضعف الشديد والقوة المفرطة يمثلان خطراً، ومن المفضل إغراقها في منغصات محسوبة بدقة، تستغرق جزءاً كبيراً من تفكيرها ووقتها للبحث عن الحلول، بدلاً من البحث عن نفوذ إقليمي، وتمنعها من الانزلاق إلى الفوضى.

## حماية الأمن القومي

وخطيت الدراسة التحليلية التي أعدتها الخبرة الأميركية في مجال الأمن القومي إيرينا تسوكمان وتطرق فيها لمخطط تركي لإضعاف مصر في المنطقة عبر محاصرتها إقليمياً، باهتمام البعض من المراقبين، ووجدوا فيها تفسيراً منطقياً لتراكم المشكلات التي تحيط بالقاهرة في نواحي مختلفة، وانفجارها بأشكال متتابعة.

ورسمت القاهرة رؤيتها للتعامل مع المعطيات الإقليمية التي تعج بالصراعات، وتجاوز المشكلات الداخلية المتراكمة، ووضعت مجموعة من التصورات البعيدة، وشرعت في تنفيذها سريعاً كي تتمكن من مقاومة الضغوط المتوقع ممارستها عليها، في ظل توترات تعج بها غالبية الدول المحيطة بها، وارتباط الأمن القومي بعوامل تتجاوز حدود الجغرافيا السياسية المباشرة، وارتباطه أحياناً بتطورات أبعد من مرمى البصر.

وتفندت القيادة المصرية سياسة محكمة لتقويض التيار الإسلامي بكل أطيافه في الداخل، لم تفرق فيها بين

افتعال الأزمات لمصر لم يكن وليد الصدفة، وهو ما استلزم من القيادة التعامل معها بشكل استباقي

ولم يكن إثارة الأزمات وليد الصدفة، وسداد لدى دوائر مصرية عديدة اعتقاد راسخ بأن افتعالها مقصود، ما يستلزم التعامل معها بحكمة، لأن ثمة دولا عدة في المنطقة وخارجها، بخلاف



## لا بدائل سلمية أمام الحوارات الدبلوماسية

وعقدت القاهرة صفقات أسلحة مع دول في الشرق والغرب، وبجانب الأهمية التي تمثلها القوة العسكرية كانت هناك قوة أخرى سياسية تتطور ولا تقل أهمية، حيث جرى تدوير خلافات من وراء بعض الصفقات، وترطيب أجواء مع آخرين، وتوسيع شبكة المصالح، ونزعت مصر قنصلية لمصر سابقاً أو يفكرون لاحقاً في الإعتداء عليها.

وتنوعت الفوائد التي احتوى عليها طريق زيادة الإنفاق على التسليح، وأهمها منح القاهرة أدوات حماية لمصالحها في الإقليم وتقليل تهديدات البعض، وتوفير وسائل حماية ضد من تفكروا سابقاً أو يفكرون لاحقاً في الإعتداء عليها.

ومنحت هذه القوة لمصر مساحة جرة كبيرة في الأزمة الليبية، فمضت إعلان الرئيس السيسي استعداده للتدخل عسكرياً ورسم خطه الأحمر لسرت والجفرة أمام التحالف الذي يحكم طرابلس، لم تجرؤ تركيا أو غيرها خرقه، وهنا ظهرت فوائد التلويح بالجاهزية العسكرية في الردع ودون استخدامها فعلياً.

## دبلوماسية هادئة

حاولت أديس أبابا استفزاز القاهرة بالحديث عن رغبة الأخيرة ضرب سد النهضة الإثيوبي، لكنها شددت على تمسكها بالحلول السلمية معها وطرق الأبواب التي تصب في هذا المنحى بعيداً عن الخشونة التي تمتازها البعض وساقوا لها الزرائع الكافية.

ووجدت مصر روايتي تركيا تفوح في كل من ليبيا وإثيوبيا وسيناء، ناهيك عن قطاع غزة، وهي الدولة الأكثر سفوراً في العداء، وتتمنى كسر شوكة مصر العسكرية وإرادتها السياسية لتعبر صعاباً مختلفة، الأمر الذي جعل القاهرة تتحلل بأعلى درجات الحذر، للدرجة التي وصفت تصرفاتها كثيراً بأنها تحمل علامات "ارتباك وتذبذب وتريث وصبر في غير موضعه".

وتتم تجاوز التوضيحات ودلالاتها السلبية وعدم الاستجابة لجر مصر إلى مستنقعات ترى أن دخولها قد يكون سهلاً، غير أن الخروج منها لن يكون كذلك، بل مكلفاً، فالصراعات المحيطة بها رخوة وقد تغرس فيها الإقدام وتتحول إلى حروب استنزاف طويلة.

ورفضت القاهرة، بالموازاة مع ذلك، الانجرار لوحدها وراء تحركات أنقرة، ففي ليبيا وضعت الكرة في ملعب المجتمع الدولي برمتها، وفي شرق المتوسط نسقت مع الدول الغربية المعنية، وفي مجال الإرهاب الذي تأثرت به مصر كان خطابها شاملاً، والحديث عن دواعياته التي تلحق الأذى بغيرها، ومن الضروري التعامل معه بصورة جماعية، وهكذا عاجلت الأزمة مع تركيا حتى لا تصبح في مواجهتها بمفردها.

تهديد المصالح، فالجيش في الذاكرة الجمعية حامي حمى الدولة المصرية. وأقرط الرئيس السيسي في الاعتماد على هذه المؤسسة في الأمور العسكرية وغيرها، ما أثار استهجان البعض خوفاً على مستقبل المدينة، فالرجل قصد طريقاً جاهزاً ومضموناً لتنفيذ رؤيته، وعول على منتسبي جهاز الجيش والشرطة، باعتبارهما أكثر انضباطاً وجاهزية، وأكثر استعداداً للتعامل مع التحديات، وأقل انسياقاً للروتين.

وتعرض تضخيم القوة المصرية لانتقادات متعددة، خاصة أن الظروف الاقتصادية لا تسمح بكل هذا الإنفاق السخي، لكن مساعدات دول عربية صديقة أسهمت مادياً في التسليح، كما أن القيمة القومية والاستراتيجية التي ينطوي عليها ذلك جعلت القيادة السياسية لا تبخل في الإنفاق، الذي حوى أيضاً اغراضاً سياسياً.

وحقق هذا التوجه جانباً من أهدافه، وأبرزها منع توظيف المعاناة بصورة سياسية، خاصة أنها اصطفت معها صرامة أمنية منعت قوى المعارضة من الاستفادة منها في تحريض الشارع وتاليه على النظام، وهو ما يفسر تكرار عبارات تماسك المواطنين، وقوة الجبهة الداخلية، وأهمية الوحدة الوطنية، في خطاب الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، كمدخل لمواجهة التحديات الخارجية.

## جبهة عسكرية

تزامن سد جزء كبير من الثغرات الداخلية مع آخر لا يقل جدوى في الجبهة العسكرية، حيث قام الجيش المصري بعملية تحديث واسعة في بنيتها الرئيسية، وراكم كمية كبيرة من الأسلحة المتطورة لتأمين الحدود في منطقة حافلة بالزاعات، لردع من تسول لهم أنفسهم

متشددين ومعتدلين، وجزرت رأس الحربة، وهو تنظيم الإخوان، وتجاهلت الضغوط التي مورست عليها بذريعة حقوق الإنسان.

كما فرّغت السلطات المجال العام من القوى المعارضة، من خلال التقويض والحصار والاعتقال، وسدت المنافذ التي يمكن أن يلعبوا من خلالها دوراً مؤثراً لتشتيت انتباه أجهزة الدولة، وسنت الحكومة قوانين لمنع التظاهرات والاحتجاجات إلا بضوابط صارمة لا تمثل تهديداً.

وجرى الإقدام على إصلاحات اقتصادية شاذة، كانت محل اختبار حقيقي لوحدة الدولة وقدرتها على الصمود، ونجح برنامجها، الذي تزامن مع تدشين مشروعات تنموية كبيرة، بغرض تخفيف الأعباء على المواطنين، ووقف نزيف التدهور، والتأكيد أن هناك قيادة رحيمة بالمواطنين تريد مصلحتهم، لذلك لم تلجأ إلى المسكنات.

## هل كسبت أوبك في عيدها الستين ود الولايات المتحدة

واللاف وسط ذلك كله أن ترامب تواصل مع أوبك بهمة ونشاط أكبر من أي ممن سبقوه في الرئاسة الأميركية، وكثيراً ما لجأ إلى التغريد على تويتر تعليقا على قرارات الإنتاج وتحركات أسعار النفط وقد وطد علاقته بولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان، الذي يعتمد على واشنطن في الحصول على السلاح والحماية في مواجهة خصوم بلاده في المنطقة مثل إيران.

ويؤكد غاري روس مؤسس شركة بلاك غولد إنفستورز وهو من الخبراء في شؤون أوبك ذلك التوجه بالقول إنه "لم تكن هناك أي إدارة أميركية أكثر انخراطاً في السياسة النفطية الدولية وأوبك من رئاسة ترامب"، الذي أطلق قبل عامين سلسلة تغريدات على أوبك في وقت ارتفعت فيه أسعار النفط لأكثر من 70 دولاراً للبرميل وهو مستوى اعتبرته واشنطن أعلى كثيراً مما يجب على المستهلكين الأميركيين.

ويظهر أرقام أوبك أن نصيب الولايات المتحدة من سوق النفط العالمية تضاعف منذ العام 2010 في الوقت الذي انخفض فيه نصيب أوبك، التي تعاونت مع روسيا وتوسع دول أخرى منتجة للنفط قبل أربع سنوات لتكوين كتل عُرف باسم أوبك+ لتعزيز النفوذ غير أن مسؤولاً كبيراً بإدارة ترامب قال إنه حتى هذا التكتل وهن نفوذه مع ارتفاع الإنتاج الأميركي بقوة.

يدعو إلى التفاؤل بوجود صديق متفهم مثل الولايات المتحدة. والظاهر أنه عندما انخفضت هذا العام أسعار النفط بشدة دون المستوى، الذي تحتاج إليه شركات النفط الأميركية لتحقيق أرباح، توصلت أوبك إلى صفقة لرفعها قليلاً من خلال اتفاق كان الحافز وراءه تهديد واشنطن بتقليل دعمها العسكري للرياض.

وقال شبيب خليل الذي شغل منصب وزير النفط الجزائري على مدى عشر سنوات وكان رئيساً لأوبك في 2001 و2008 في تصريحات للوكالة رويترز إن "ترامب يطلب من السعودية ما يحتاجه لسعر النفط ويحصل على مراده.. فعلاً أوبك تغيرت".

وحتى الآن، تتصدر السعودية منتجي النفط من خارج، حيث زاد إنتاجها لأكثر من مثليه خلال عشر سنوات ليتجاوز 12 مليون برميل يومياً العام الماضي، وفقاً لإدارة معلومات الطاقة، إذ سهل تحسين تكنولوجيا الحفر الاستفادة من أحواض كان من الصعب استخراج النفط منها.

وتظهر أرقام أوبك أن نصيب الولايات المتحدة من سوق النفط العالمية تضاعف منذ العام 2010 في الوقت الذي انخفض فيه نصيب أوبك، التي تعاونت مع روسيا وتوسع دول أخرى منتجة للنفط قبل أربع سنوات لتكوين كتل عُرف باسم أوبك+ لتعزيز النفوذ غير أن مسؤولاً كبيراً بإدارة ترامب قال إنه حتى هذا التكتل وهن نفوذه مع ارتفاع الإنتاج الأميركي بقوة.

دعو إلى التفاؤل بوجود صديق متفهم مثل الولايات المتحدة.

والظاهر أنه عندما انخفضت هذا العام أسعار النفط بشدة دون المستوى، الذي تحتاج إليه شركات النفط الأميركية لتحقيق أرباح، توصلت أوبك إلى صفقة لرفعها قليلاً من خلال اتفاق كان الحافز وراءه تهديد واشنطن بتقليل دعمها العسكري للرياض.

وقال شبيب خليل الذي شغل منصب وزير النفط الجزائري على مدى عشر سنوات وكان رئيساً لأوبك في 2001 و2008 في تصريحات للوكالة رويترز إن "ترامب يطلب من السعودية ما يحتاجه لسعر النفط ويحصل على مراده.. فعلاً أوبك تغيرت".

وحتى الآن، تتصدر السعودية منتجي النفط من خارج، حيث زاد إنتاجها لأكثر من مثليه خلال عشر سنوات ليتجاوز 12 مليون برميل يومياً العام الماضي، وفقاً لإدارة معلومات الطاقة، إذ سهل تحسين تكنولوجيا الحفر الاستفادة من أحواض كان من الصعب استخراج النفط منها.

وتظهر أرقام أوبك أن نصيب الولايات المتحدة من سوق النفط العالمية تضاعف منذ العام 2010 في الوقت الذي انخفض فيه نصيب أوبك، التي تعاونت مع روسيا وتوسع دول أخرى منتجة للنفط قبل أربع سنوات لتكوين كتل عُرف باسم أوبك+ لتعزيز النفوذ غير أن مسؤولاً كبيراً بإدارة ترامب قال إنه حتى هذا التكتل وهن نفوذه مع ارتفاع الإنتاج الأميركي بقوة.

لأسيما في عام 2011 خلال الانتفاضة على حكم الزعيم الليبي معمر القذافي، فإن سجلها في السنوات الثلاث الأخيرة اتسم إلى حد كبير بالاستسلام.

ومنذ إعلان تأسيس المنظمة في 14 من سبتمبر 1960 في العاصمة العراقية بغداد للتصدي لنفوذ سبع شركات نفطية أميركية وبريطانية، وحتى تولي الرئيس دونالد ترامب السلطة في مطلع 2017، أذنت أوبك أكثر من مرة لضغوط

من واشنطن لزيادة ضخ النفط. وقد داب ترامب على الدعوة لخفض أسعار البنزين بما يفيد المستهلكين الأميركيين، ولكن ماذا عن تحالف أوبك بلس، الذي ظهر إلى العلن بعد أن انهارت أسعار النفط

صيف 2014، وكيف سيواجه الضغوط الأميركية مستقبلاً، وهل هناك ما

يقتضيه الوضع في الشرق الأوسط؟

ويعتقد مسؤولون حاليون وسابقون في أوبك إن الدولتين الأكثر تشدداً من بين أعضاء أوبك، إيران وفنزويلا، حديثهما العقوبات الأميركية في حين برهنت السعودية أكبر الأعضاء على أنها تفضل استرضاء واشنطن على المجازفة ببقدان الدعم الأميركي.

وفي حين قاومت أوبك كتكتل الضغط الأميركي لخفض أسعار النفط على مدار عشرات الستين،



شبيب خليل  
ترامب يطلب من السعودية ما يحتاجه ويحصل على مراده

